

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة التحريرية لمشروع التأصيل النظري للدراسات الحضارية^(*)

تأسس برنامج حوار الحضارات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في أبريل ٢٠٠٢، استنادًا إلى خطة علمية حددت دوافع هذا التأسيس وأهداف البرنامج على النحو التالي:

١. دراسة الإطار النظري لموضوع البرنامج "العلاقة بين الحضارات" لتسكينه في موقعه من المنظورات الراهنة لدراسة العلوم السياسية بفروعها المختلفة، وفي تقاطعها وارتباطها مع علوم اجتماعية أخرى. فإن تجدد الاهتمام بالأبعاد الثقافية-الحضارية، ومن ثم الأبعاد القيمية بمصادرها المختلفة (وفي قلبها الدين) يعد من أهم سمات المنظورات الغربية الراهنة، مما أوجد مساحة مشتركة مع منظورات حضارية أخرى وعلى رأسها الإسلامي.

٢. رصد وتحليل المدارس النظرية والاتجاهات الفكرية المتنوعة (القومية والليبرالية والإسلامية) في الموضوع، وتقديم ملخص جامع مقارنة لأسانيد كل من هذه المدارس والاتجاهات من حيث تأصيل مفهوم الحضارة والحوار والصراع، ومن حيث تأصيلها لأصل العلاقة بين الحضارات ومن حيث رفضها أو قبولها لفكرة حوار الحضارات، ومن حيث البدائل المطروحة لهذه الفكرة.

٣. رصد المبادرات العملية المطروحة في ساحة حوار الحضارات أو الثقافات أو الأديان -خلال العقد الماضي- وتقويم آليات تطبيق الفكرة بصفة عامة أو في مجالات نوعية وقضايا محددة سواء على مستوى المنظمات الدولية أو الحكومات أو المنظمات غير الرسمية الدولية منها والوطنية. حيث إن ملتقيات الحوار ذات مستويات متعددة، منها الرسمي ومنها غير الرسمي، ومنها العالمي ومنها ذو النطاق المحدود إقليمياً أو وفقاً للقضايا محل الاهتمام.

٤. تصميم سيناريوهات للدخول في "حوار" من جانب الدائرة المصرية أو العربية أو الإسلامية مع دوائر ثقافية أخرى -سواء إسلامية أيضاً أو تنتمي إلى حضارات أخرى غربية أو شرقية على حد سواء. ويتطلب تصميم السيناريو الواحد -وبالنظر إلى طبيعة أطرافه- تحديد قائمة وألويات موضوعات الحوار وقضاياها انطلاقاً من

(*) د. نادية مصطفى (تقديم لكتاب)، التأصيل النظري للدراسات الحضارية، ضمن أعمال "مشروع التأصيل النظري بين الثقافة والحضارة والدين"، إعداد وتنسيق علمي، د. نادية محمود مصطفى ود. منى أبو الفضل، جامعة القاهرة: برنامج حوار الحضارات (٢٠٠٣-٢٠٠٥)، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨.

متطلبات وحاجات الدائرة المعنية أي العربية أو الإسلامية في حوارها مع الدوائر الحضارية الأخرى (الأوروبية، الأمريكية، الروسية، اليابانية، الصينية، الهندية...).

٥. الاهتمام بالبحث في آليات وسبل تحقيق التنسيق والتعاون بين المنظمات العربية والإسلامية التي تدير مشروعات للحوار مع "الآخر" وعلى رأسها الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، من ناحية، وكذلك بين الدول الإسلامية الكبرى (وعلى رأسها مصر، تركيا، إيران) التي تدير من خلال برامج وطنية حوارات مع "الآخر" أو فيما بينها (مثلاً الحوار العربي-الإيراني والحوار التركي العربي).

واستجابة لهذه الدوافع والأهداف، وفي ضوء متطلبات البيئة العلمية والعالمية المحيطة، التي جسدت تجدد الاهتمام بالأبعاد الدينية والثقافية والحضارية وفي قلبها الأبعاد القيمية غير المادية للتطور البشرى وللتغيرات العالمية، كان لابد لهذا البرنامج أن يؤسس أنشطة خطته الخمسية العلمية على "تأصيل نظرى للعلاقة بين الدين - الثقافة - الحضارة" ليس كغاية في حد ذاته فقط ولكن كسبيل أيضاً لتأسيس مجال للدراسات الحضارية في العلوم السياسية ينطلق من البحث في وعن آفاق منظور حضارى لدراسة الظاهرة السياسية في أبعادها الداخلية والخارجية على حد سواء. كل هذا بدون انقطاع أو فقدان صلة بموضوع هذا البرنامج ومحور نشاطه ألا وهو العلاقة بين الحضارات حواراً وصراعاً.

ومن ثم كان مشروع "التأصيل النظري" هو باكورة المشروعات البحثية الجماعية الممتدة التي قام عليها برنامج حوار الحضارات. ولقد استغرق تنفيذه نحو عامين ونصف (فبراير ٢٠٠٣ - أغسطس ٢٠٠٥). ولقد حفزت المبادرة أ.د. منى أبو الفضل الرائدة في مجال الدراسات الحضارية على صعيد العلوم السياسية والمؤسسة لمدرسة المنظور الحضارى في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة. ولقد أشرفت د. منى على إعداد ورقة عمل المشروع التي دشنت اجتماعات العمل المتطورة، كما رأست معظم هذه الاجتماعات وأدارتها بالتعاون مع أ.د. نادية مصطفى، ولقد حالت ظروف خاصة دون مشاركتها في إعداد هذا التقديم لنشر أعمال المشروع.

ولقد شارك في أعمال هذا المشروع إلى جانب الأساتذة معدي البحوث، عدد آخر من الأساتذة الذين أثروا النقاش في الاجتماعات الدورية وكان لهم فضل المساهمة في بلورة غايات المشروع ومخرجاته وهم أ.د. علا أبو زيد، نائب مدير البرنامج حينئذ، أ.د. السيد عبد المطلب غانم، أستاذ النظرية السياسية، أ.د. مصطفى منجود، أستاذ الفكر السياسي، أ.د. عبد الغفار رشاد أستاذ النظم المقارنة. كما ساهم في بحوث المشروع - عن بعد - كل من د. رقية العلوانى، وأ.د. سيف الدين عبد الفتاح، وأ.د. حسن وجيه، كذلك ساهم في الاجتماعات

وأعمال البحث المساعدة عدد من شباب الباحثين المهتمين بالمداخل الثقافية والحضارية للعلوم السياسية وهم مدحت ماهر وأمانى غانم ومروة عيسى وأحمد خطاب وعلاء عبد الحفيظ.

مجمل القول كان المشروع البحثي الجماعي الممتد خبرة حية تفاعلية تبادلية، فنظرًا لعدد المشاركين فيه وامتداده الزمني فلقد كان ساحة تفاعل وتبادل للأفكار والآراء، ومعملاً لاختبار بعض المقولات والافتراضات أو إنضاج بعضها الآخر.

ولقد فرض موضوع المشروع -وجدته- هذا النمط من التفاعل، كما ساعدت حماسة الأساتذة المشاركين على جعل هذا التفاعل خبرة متميزة على صعيد الجماعة العلمية للعلوم السياسية في مصر، وفي انفتاحها على علوم أخرى مثل الدراسات الإسلامية والفلسفة والاجتماع والتاريخ وفلسفة الحضارات.

هذا ولقد تعددت مستويات التفاعل التبادلي عبر مراحل تطور المشروع، كما تنوعت بالطبع قضاياها وإشكالياته، وعلى نحو أسفر عن بنية محددة لبحوثه. فلقد مر المشروع بخمس مراحل أساسية:

مرحلة التدشين (فبراير ٢٠٠٣ - يونيو ٢٠٠٣) وبدأت بإعداد ورقة عمل تمهيدية أعدتها أ.د. نادية مصطفى على ضوء جلسة عمل ابتدائية شاركت فيها أ.د. منى أبو الفضل ود.أمانى صالح وأ.د.علا أبو زيد. وحددت هذه الورقة منطلقات المشروع وملامح منهج العملية البحثية ومحاور التأصيل وموضوعات كل منها، وطبيعة المنتج النهائي.

• **وكان المنطلق الذى حددته ورقة العمل هو:**

ضرورة الوعي بأن البحث في الدراسات الحضارية ليس غاية في حد ذاته في نطاق هذا المشروع البحثي، ولكن لابد من تسكين هذا الموضوع في إطار العلوم السياسية مع الاستعانة بتخصصات أخرى، وعلى النحو الذى يسمح -من ناحية أخرى- بالربط بموضوع البرنامج الأساسي ألا وهو حوار الحضارات وصراعاتها. فالدراسات الحضارية المقارنة تتضمن أبعادًا متنوعة أحدها أنماط العلاقة التفاعلية بين المنتمين لتلك الحضارات عبر التاريخ والعوامل المؤثرة عليها. ولكن يظل المحك في نظرنا كجماعة بحثية في العلوم السياسية هو كيف يمكن توظيف هذه الدراسات في تأصيل مجال للدراسات الحضارية في نطاق العلوم السياسية، وكذلك كيف يمكن تطوير منظور دراسات حضارية لعلم السياسة ينطلق من الأبعاد الحضارية الثقافية كما تنطلق منظورات أخرى من أبعاد مادية عسكرية أو اقتصادية...الخ.

بعبارة أخرى كان المحك في نظرنا هو الإجابة على السؤال التالي ما الذى يميز تناولنا لموضوع العلاقة بين الحضارات عن غيرنا من التخصصات؟ هل يتم ترك هذا المجال الدراسي، الدراسات الحضارية، لعلم التاريخ أو الاجتماع أو الفلسفة أم يجب أن يصبح لعلم السياسة دور في هذا المجال؟ وكيف يمكن لهذا الدور أن يربط بين هذه التخصصات المعنية؟ ولماذا تبرز أهمية هذا الدور الآن في ظل طبيعة المرحلة الراهنة من المراجعة في حالة علم السياسة؟ ومن ثم تحدد هدف المشروع البحثي بأنه بيان كيف تكون الدراسات الحضارية مجالاً جديداً في الدراسات السياسية. وكان هذا يستلزم تقديم تصورات من متخصصي فروع العلوم السياسية الكبرى عن موضع البعد الحضارى والدراسات الحضارية من رؤى ومنظورات ونظريات هذا الفرع في المرحلة الراهنة من تطور حالة العلم، وهي المرحلة التي تشهد الجدل حول دوافع ومبررات وأشكال الاهتمام بالبعد الحضارى الثقافي وأثره على التفاعلات السياسية الداخلية منها والعالمية، وما إذا كان هذا البعد عاملاً من العوامل المفسرة أم مجرد أداة من أدوات إدارة السياسات.

ومما لاشك فيه أن اتجاهات هذا الجدل تتشكل باختلاف الأنساق المعرفية والمنظورات. فمن رافض للعامل الحضارى ودوره نظراً لانتمائه إلى مجالات معرفية أخرى غير العلوم السياسية، نجد من يرى أن منظوراً حضارياً لعلم السياسية يساعد على معالجة أكثر من أمر: مثلاً تفتت علم السياسة على نحو بدء يشكك في وجود ما يسمى علم السياسة، في نفس الوقت الذى انفصل فيه علم السياسة عن التاريخ والاجتماع والفلسفة.. ومن ثم فإن التأسيس للمنظور الحضارى يحقق ما يلي: إنهاء الفصل بين التاريخ والاجتماع والسياسة، والتأسيس للأنساق المعرفية المتقابلة وموقفها من صناعة العمران، حيث إن مجال الدراسات الحضارية تنقاسمه أنساق معرفية متقابلة (إسلامية ووضعية) ومداخل مختلفة (فلسفية، تاريخية).

خلاصة القول فإن المشروع وفق هذا المنطلق كان يتطلب محوراً تمهيدياً يقدم تأسيساً لمجال الدراسات الحضارية في فروع العلوم السياسية سعياً نحو منظور حضارى لدراسة علم السياسة.

وبعد عملية تسكين البعد الحضارى في مجال فروع العلوم السياسية كان لا بد وأن تبدأ عملية التأسيس النظرى. وعن منهج هذه العملية ومحاور التأسيس فهي تنطلق من قراءة نقدية تراكمية في الأدبيات المتعلقة بالعلاقة بين الحضارات أو مجال الدراسات الحضارية من منظورات متقابلة في نطاق علم الفلسفة، التاريخ، الفكر، أو الأدبيات التي قدمت دراسة

في النماذج الفكرية. وعن المحاور التي يتم على ضوئها هذه القراءة المقارنة التراكمية فهي تنقسم بين مجموعات ثلاث: المفاهيم، العلاقات والعمليات، الفواعل، وكانت كالتالي:

المجموعة الأولى وتتضمن الموضوعات التالية:

موقع الدين من الأثر على الثقافة والحضارة، الفارق بين الثقافة والحضارة: أهمية الرمز الحضاري، النماذج الحضارية: قواعد التشكيل، الخصائص، الأسس.

المجموعة الثانية، من موضوعاتها ما يلي:

أنماط العلاقة بين الحضارات والثقافات (الحوار، الصراع، الصدام، التعارف، التثاقف، التسرب، النفاذية Culture filter)، مفهوم الحوار: الدوافع، الأهداف، الشروط، الآليات، الأنماط، مفهوم الصراع: الدوافع، الأهداف، الشروط، الآليات، الأنماط.

المجموعة الثالثة تطرح الموضوعات التالية:

العلاقة بين الأنا والآخر: النظريات والرؤى من انساق معرفية متقابلة ومنظورات متقابلة (التعددية، الهيمنة)، الآخر في فكر وحركات الإصلاح في الأديان السماوية الثلاثة. ولقد أثار مضمون بعض المحاور نقاشاً طرح بعض الاشكاليات الهامة، ومن أبرز هذه المحاور: محور العلاقة بين الأنا والآخر، فلقد طرح الأسئلة التالية:

- هل الآخر هو المختلف في الدين أم يمكن أن يكون مشابهاً في الدين؟ هل الآخر هو المخالف في المنظور للدين كمنهج علوي أو منهج دنيوي و صناعة بشرية؟ هل الآخر هو الحضارة الغربية، والأنا هو الحضارة الإسلامية؟ ما هو مستوى هذا الآخر وهذه الأنا: الفرد/ الجماعة (الأمة)، الاجتماعي/ الديني، المعرفي/ الإنساني، الكوني/ المقدس؟

- ما هو نمط العلاقة بين الأنا والآخر: التعددي/ المهيمن، الاستيعابي/ الإقصائي، التراكمي/ الاستعلائي؟

وأخيراً هل يجب الأخذ بهذه الثنائية (الأنا والآخر) بالرغم من أنها ثنائية استيعابية انطلقت وتأسست من فكرة هيمنة الذات الغربية على الأنا المختلف؟ أم أن هذه الثنائية القائمة الذائعة ذات الجذور القديمة تقتضي وتستلزم قراءة نقدية على ضوء دلالة الأنساق المعرفية المتقابلة مع استدعاء النماذج التاريخية التي توضح العلاقة بينهما في ظل مراحل أو عصور كل من الهيمنة الإسلامية والهيمنة الغربية؟

وعبر ٤ أشهر استغرقتها هذه المرحلة التدشينية، توالى الاجتماعات التحضيرية (ثمانية اجتماعات) جرت خلالها مناقشة عدد من القضايا والاشكاليات المعرفية والمنهجية والنظرية كان من أهمها ما يلي:

- أسباب الاهتمام الراهن بالمجال الحضارى في العلوم السياسية على ضوء التغيرات الرئيسية العالمية والظواهر الجديدة التي لم تعد الأطارات الفكرية "الحدائية الوضعية" قادرة على تقديم تفسيرات كاملة لها، مما فرض تجدد الاهتمام بأساليب جديدة تعيد للجوانب القيمية غير المادية أهميتها.
- العلاقة بين الدين وبين الثقافة والحضارة.
- الفارق بين مجال الدراسات الحضارية وبين المنظور الحضارى.
- أسباب الحوار أو الصراع بين الثقافات والحضارات، ومسئولية الأنساق المعرفية المتقابلة من ناحية والاختلاف حول موضع العقل من العلم وموضع القيم من العقل والعلم من ناحية أخرى. وكذلك مسئولية حالة توازن القوى بين هذه الثقافات والحضارات ومدى تسييس العوامل الدينية - الثقافية الحضارية وأنماط توظيفها السياسي.
- موضع المشروع البحثي من خطة عمل برنامج حوار الحضارات خلال الأعوام التالية.

ولقد كانت النقاشات عبر هذه الاجتماعات التحضيرية الثمانية من الكثافة والعمق والتعدد والتنوع ما تعجز هذه السطور عن ترجمتها. ولقد أفضت إلى الاتفاق على بنية المشروع البحثي.

وتنقسم أعمال المشروع بين سبعة محاور:

- المحور الأول بعنوان "الحوار (منطلقاته المعرفية، آلياته، أهدافه، دوافعه)"، ويضم ثلاثة بحوث هي؛ "النظرية الاجتماعية المعاصرة: نحو طرح توحيدي في أصول التنظير ودواعي البديل" للدكتورة منى أبو الفضل، "أسلوب الحوار، الدوافع، الأهداف والشروط والآليات والأنماط" للدكتورة أميمة عبود، "أنماط تنقل الأفكار وآلياتها بين التفاعل والأسباب: دراسة حالة العلاقة بين عالم الغرب وعالم المسلمين" للدكتور سليمان الخطيب.

- المحور الثانى بعنوان "مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية"، ويضم خمسة بحوث هي؛ "مفهوم الآخر لدى الجماعات اليهودية الحديثة" للدكتورة رقية العلوانى، "مفهوم الآخر في

الأديان التوحيدية" و"مفهوم الآخر في المسيحية الكاثوليكية" للأب الدكتور كريستيان فان نسين، "مفهوم الآخر في المسيحية المصرية" للأستاذ سمير مرقس، "المسيحية الإنجيلية (البروتستانتية) والموقف من الآخر" للقس الدكتور إكرام لمعى.

- المحور الثالث يتناول "الأنا والآخر من منظور قرآني" في بحث للدكتور سيد عمر.

- المحور الرابع بعنوان "الثقافة والحضارة (مقاربة بين الفكرين الغربي والإسلامي)"، ويضم بحثي "الثقافة والحضارة من منظور إسلامي" للدكتور فوزى خليل، و"الثقافة والحضارة والدين مقاربة للمفاهيم في الفكر الغربي" للأستاذ فؤاد السعيد.

- المحور الخامس بعنوان "العلاقات الدولية (البعد الديني والحضاري)"، ويضم بحثي "البعد الديني في دراسة العلاقات الدولية" للدكتور عبد الخبير عطا، و"توظيف المفاهيم الحضارية في التحليل السياسي: الأمة كمستوى لتحليل العلاقات الدولية" للدكتورة أماني صالح.

- المحور السادس يضم بحثاً بعنوان "حوار الثقافات (إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة)" للدكتور حسن وجيه.

- وأخيراً المحور السابع يضم بحثاً بعنوان "العولمة والإسلام رؤيتان للعالم" للدكتور سيف الدين عبد الفتاح.

كما أفضت الاجتماعات التحضيرية إلى الاتفاق أيضاً على أهداف وغايات المشروع وعلى المنهجية العامة لتأكيد الرابطة بين المشروع البحثي وبين قضية أنماط العلاقة بين الحضارات من واقع متطلبات اللحظة التاريخية الراهنة سواء لأغراض عملية سياسية (تتصل بالعلاقة بين الغرب وعالم المسلمين) من ناحية أو لأغراض معرفية وفكرية (تتصل بعمليات المراجعة الراهنة في النموذج المعرفي للعلوم الاجتماعية والإنسانية القائمة على مشروع الحداثة والعلمانية والوضعية) من ناحية أخرى.

من أهم القواعد العامة عن أبعاد المشروع وغاياته:

ضرورة الوعي بالعلاقة بين دوائر ثلاث للبعد الحضاري ووضعه على صعيد كل منها:

- الدائرة الأولى؛ تأثير وضع البعد الحضاري - الثقافي في العلوم الاجتماعية بصفة عامة والعلوم السياسية بصفة خاصة، سواء على نطاق محدود أم على نطاق واسع يرسم خريطة متكاملة الأبعاد لهذا الوضع.

• الدائرة الثانية؛ تثير قضية تأصيل مجال الدراسات الحضارية وتطوير منظور حضارى للعلوم السياسية.

• الدائرة الثالثة؛ تثير وضع الاهتمام بالبعد الحضارى لعلاقته بمجال أو موضوع حوار الحضارات أساساً.

هذا ولقد حددت د.منى أبو الفضل العلاقة بين هذه الدوائر على النحو التالى:

"والتحدى ليس هو التسكين للدراسات الحضارية في حقل العلوم السياسية، ولكن تطوير منظور العلوم السياسية ذاته انطلاقاً من أهمية البعد الحضارى الآن. وهذا يرتبط بمراجعة الحقل من منظور حضارى. وهذه المراجعة ليست مستحدثة تماماً لأن هناك تقاليد سابقة قدمها أ.د.حامد ربيع. إذاً لدينا أسس للبناء عليها وهي أسس أصيلة، وهي استجابة لتحدى مسار الوضعية الذى اتسمت به المدرسة الأمريكية، في حين أن أ.د.حامد ربيع نبت في أحضان الحضارة الأوروبية حيث الحس الحضارى، واكتشف الإسلام الحضارى خلال دراسته في الأديرة الإيطالية... وبعد مجال النظرية والفكر مع د.حامد ربيع جاء دور النظم مع إسهام منى أبو الفضل في التعامل مع النظم العربية من منطلق حضارى وليس من منطلق المصادر الأمريكية. إذاً لدراسة السياسة لدينا أصول للنظرية والمنهجية تمت ممارستها على التوالى من فرع إلى فرع وصولاً إلى العلاقات الدولية. وكان مولد المنظور الحضارى للعلاقات الدولية عند هانتجتون وهو تطور لجذور فكره في مجال النظم المقارنة، حيث استبطن موضوع موضع الدين من التكوين الثقافي وأثره على النظم الديمقراطية....

إذاً اهتمامنا ليس تلمس البعد الحضارى والمنظور الحضارى لدى الغرب فقط ولكن تطوير منظورنا الحضارى في هذا المجال، لأن البعد الحضارى موجود سابقاً ولكنه كان مستبطناً (implicit) في المنظور الغربى وفي خلفيته، ثم بدأ يبرز ويتجدد الاهتمام به. فلقد كانت العلوم السياسية متأخرة في إدراك البعد الحضارى بالمقارنة بحقول معرفية أخرى.

... حينما أتحدث عن المنظور الحضارى لا أقصد فقط الإسلامى ولا أبدأ بالإسلامى، ولكن أبدأ بالوعى بالبعد الحضارى، وحين البحث فيه أصل إلى الإسلامى مقارناً بغيره. وقد يكون المدخل مادياً حضارياً وليس بالضرورة الدينى فقط. وهو موجود بالغرب ويعبر عنه بمدخل عديدة، ولكنه لدينا يعبر عن مفترق طريق. ومن هنا تأتى أهمية التأصيل لمنظور حضارى من الإسلام أو غيره، وهو ليس تأصيلاً للإسلام والمسلمين ولكن للعالمين.

• وعن وضع المشروع البحثي في نطاق الخطة العلمية لبرنامج حوار الحضارات وعلاقته بوضع البعد الحضاري في العلوم السياسية والاجتماعية من ناحية، وبمنظور حضاري للعلوم السياسية من ناحية أخرى، حددت د.نادية مصطفى النقاط التالية:

١- إن غاية المشروع هو التأسيس النظري للعلاقة بين الثقافة والحضارة والدين على النحو الذي يخدم دراسات حوار الحضارات، حيث تتداخل المفاهيم ولا تتضح الأطر النظرية.

٢- هذه الغاية تنطلق من العلوم السياسية، ومن ثم كان لابد من التساؤل عن وضع البعد الحضاري بصفة عامة من دراسة العلوم السياسية، بحثاً عن وفهماً لوضع مجال حوار الحضارات في الدراسات السياسية المعاصرة.

٣- وحيث إن البعد الحضاري قائم في مجالات معرفية أخرى، وحيث تتقاطع الحدود بين هذه المجالات وبين مجال العلوم السياسية في مرحلة تعالت فيها الدعوات إلى التعاون بين العلوم، فلا بد من الاستعانة بالتأصيلات النظرية عن الموضوع والتي قدمتها هذه العلوم.

٤- الاهتمام بوضع البعد الحضاري في العلوم السياسية والاجتماعية لا يعنى فقط البحث عن منظور حضاري إسلامي، لأن البعد الحضاري قائم الاهتمام به - ولو بمعان مختلفة - لدى التيارات والاتجاهات المتنوعة. ومن ثم فإن التأسيس النظري المطلوب سيكون من منظورات مقارنة وليس من منظور حضاري إسلامي فقط.

٥- لا يمكن أن نظل -على سعيد المنظور الحضاري الإسلامي- مكتفين بالدعوة إلى أهميته وضرورته، ولكن يجب أن نمثد إلى أبعد من ذلك. ومن ثم فإن التأسيس النظري للعلاقة بين الحضارة والثقافة والدين سيكون ساحة أساسية لبلورة إسهام المنظور الحضاري الإسلامي في هذا المجال، ومن ثم يكون هو دعامة من دعائم مجال الدراسات الحضارية، ويصبح ذلك المجال بدوره نتاج ومحصلة عمليات عديدة.

المجموعة الثانية: المنهجية العامة:

• أهمية الدراسات المنهجية المقارنة على المستويات التالية: الأنساق المعرفية، منظورات العلوم الاجتماعية، الأديان والحضارات.

• التمييز بين الدراسات النظرية والفكرية والتاريخية ضروري لتسهيل العملية البحثية ولكن دون قطع الصلة بين هذه المجالات.

- التمييز بين مستوى الابستمولوجيا ومستوى القضايا ومستوى العمليات ومستوى المفاهيم.

- غاية المشروع ليس مجرد القراءة في الاتجاهات المقارنة حول موضوعاته والتي تقدمها الدراسات الحضارية المتنوعة، ولكن الغاية أبعد من ذلك وتمتد نحو الاجتهاد لتأسيس مجال دراسات حضارية في نطاق العلوم السياسية.

ليست القضية قضية في مجال اجتماع أو تاريخ أو فلسفة فقط، ولكن هناك مجال دراسات حضارية في حد ذاته وله مداخل مختلفة تعبر عنها مصادر أساسية في كتب الحضارات، حيث لكل منها مدخل خاص يخدم الدراسات السياسية، كما هناك مصادر في العلوم السياسية من مداخل حضارية. بعبارة أخرى هناك مجال دراسات حضارية يمكن تأسيسه من تقاطعات مصادر مختلفة سواء في العلوم الاجتماعية أم كتب الحضارات.

ومع الاعتراف بأن مجال الدراسات الحضارية مجال تصب وتتقاطع عنده الأبعاد الحضارية في العلوم الاجتماعية المختلفة ويجمع بين منظورات متنوعة، إلا أنه يظل للإمكانيات الزمنية والبشرية والمادية للمشروع تأثيرها الذي يدفع إلى ضرورة التمييز بين مشروع بحثي يكون نواة في تأسيس مجال الدراسات الحضارية وبين مجال الدراسات الحضارية ذاته.

ولذا فإن على برنامج حوار الحضارات الاهتمام بمشروعات ثلاثة: النظرية، النماذج الفكرية، النماذج التاريخية؛ فهي خطوات تدريجية في نطاق بناء هذا المجال.

- الحذر من المنهج الوصفي فقط ولكن السعى لاكتشاف طبيعة المنظومات المعرفية المتفاعلة وأثرها على موضوعات وقضايا حوار الحضارات والثقافات.

- إن التعامل مع الأدبيات الكبرى في مجال الفكر والدراسات الحضارية، ليس هدفاً في حد ذاته، ولكن يجب كسر الحلقة المفرغة من خلال عملية استحضار النموذج المعياري خلال القراءة والاكتشاف للنماذج الفكرية للكتب التي نتعامل معها، وبذا نقدم ليس رسداً ووصفاً لفكرة ولكن نقدم استخلاصاً ودلالة لما يقدمه فكر ما من أدلة عن المنظومة التي ينتمى إليها معرفياً، إذن هذا الفكر ليس مرجعية، ولكنه ساحة وسبيل لاكتشاف حقيقته من خلال استكشاف Western intellectual tradition في مقابل النسق التوحيدي. وكل هذا يخدم ويساعد الحوار الجاري الآن واكتشاف القواسم المشتركة بين المنتمين إلى حضارات مختلفة، في محاولة للالتقاء حول قيم، والبحث

عن الجذرى في التقاليد الغربية وأبرزها، وتبين مدى قربها أو بعدها عن النسق التوحيدى وبذا نقوم بتفكيك الفكر الغربى والأنماط المعرفية الغربية.

هكذا حددت د. منى أبو الفضل -في معظم الحالات- وكذلك د.نادية مصطفى القواعد المنهجية العامة التي تفك الاشتباك بين مجال دراسات حضارية، وبين منظور حضارى، وبين حوار الحضارات.

ولذا كان من المنطقى أن يبدأ هيكل المشروع البحثى بالمنطقات المعرفية للحوار والتي قدمتها دراسة مستخلصة من دراسة جامعة شاملة أعدتها د. منى أبو الفضل في بداية التسعينيات مؤسسة فيها لمنطلق أساسى في مجال الدراسات الحضارية المقارنة، ألا وهو "الأنساق المعرفية المتقابلة".

المرحلة الثانية من المشروع هي مرحلة إعداد خطط البحوث ومناقشتها جماعياً (أكتوبر ٢٠٠٣ - يناير ٢٠٠٤).

فلقد جرت خلال أشهر ثلاثة ٤ اجتماعات لمناقشة هذه الخطط. تم خلالها اختبار مدى تحقق غايات المشروع وأهدافه، ومدى إمكانية تطبيق القواعد المنهجية العامة، ومدى الاتساق بين موضوعات كل محور، ومدى التماسك في بنية المشروع بأكمله، كما تم خلال هذه المناقشات معالجة منهجية كل دراسة وكيفية استعانتها بالمصادر المتنوعة، وكيفية رسم خرائط الأفكار وتقديم رؤى نقدية ورؤى بنائية تستجيب لغايات وأهداف المشروع.

هذا ولقد شهدت المرحلة الثانية جهداً بحثياً موازياً ومكماً ألا وهو الخاص بإعداد قائمة إصدارات في مجال الدراسات الحضارية، وفق مفاتيح البحث للتأصيل النظري التالية: الحضارة وفلسفتها، مفكرون كتبوا عن الحضارة، الحضارة الإسلامية، فلسفة التاريخ، حوار الحضارات.

المرحلة الثالثة من المشروع هي مرحلة إعداد البحوث واستغرقت ستة أشهر حتى يونيو ٢٠٠٤. وتمثلت المرحلة الرابعة في ندوة جماعية تم عقدها في سبتمبر ٢٠٠٤. ولقد اقتصر على الأساتذة معدي البحوث (باستثناء د. رقية العلوانى، وكذلك د. حسن وجيه ود. سيف الدين عبد الفتاح) حيث جرى عرض كل بحث ومناقشة هيكله ومضمونه ونتائجه، واستغرقت الندوة ثلاثة أيام مثلت حواراً معمقاً بين أعضاء فريق البحث وخاصة حول البحوث الخمسة المتصلة بالرؤى ذات المصادر الدينية اليهودية، المسيحية والإسلام عن العلاقة بين الذات والآخر.

وفي حين كان من المقرر أن يتم تقديم ثلاثة بحوث حول البعد الحضارى في فروع العلوم السياسية، العلاقات الدولية، الفكر السياسي، النظم المقارنة فلم يستطع كل من د. عبد الغفار رشاد ود. مصطفى منجود - لظروف خاصة - تقديم بحوثهما في مجالى النظم والفكر على التوالى.

أما المرحلة الخامسة فلقد استغرقت بدورها ما يقرب من الأشهر الستة لإعداد الصيغ النهائية للدراسات بحيث تم في صيف ٢٠٠٥ استلام جميع البحوث.

وأخيراً جرت عملية التحرير والمراجعة الفنية والعلمية للمشروع خلال الأشهر الأخيرة من عام ٢٠٠٥.

وإذا لم يكن بمقدور السطور السابقة أن تلخص حجم ونوعية النقاشات التي شهدتها المرحلتين الثانية والرابعة من المشروع وإذا كان من الممكن القول إن البحوث في مجموعها تمثل تراكمًا نوعيًا لم يسبقه في حدود علمنا (في دائرة النشر العربية) مجهود جماعى مناظر في هذا المجال، وبالرغم من إمكانية الاشتباك المعرفي أو الفكرى أو المنهاجى مع بعض البحوث من حيث مدى مراعاتها للقواعد المنهاجية العامة، وبالرغم من إمكانية الاشتباك أيضًا مع منطلقات المشروع في مجمله.

فإنه يمكن القول إن هذا المشروع كان تأسيسًا لا غنى عنه لبرنامج حوار الحضارات. حقيقة استغرق تنفيذه ثم إعدادة للنشر ثم الاتفاق على نشره وقتًا أطول بكثير مما كان مفترضًا له، إلا أن مخرجاته المعرفية والفكرية انعكست على مسار أنشطة برنامج حوار الحضارات وعلى خريطه بحوثه وملتقياته: في مفهوم الحضارى، جدالات حوار صراع الحضارات في ظل العولمة، الخصوصية الثقافية، اللغة والهوية وحوار الحضارات، مسارات وخبرات في حوار الحضارات، العلاقة بين الدينى والمدنى والسياسى، الأمة وأزمة الثقافة والتنمية، أوروبا وإدارة حوار الثقافات الاورومتوسطية، الدبلوماسية العامة للولايات المتحدة تجاه العالم الاسلامى... الخ(*).

فمما لا شك فيه أن تأصيل العلاقة بين الدين - الثقافة - الحضارة من منظور الأنساق المعرفية المتقابلة يمثل المنطلق سعيًا نحو فهم وإدراك آليات ومسارات وجدالات حوار / صراع الثقافات والحضارات، وفي قلبها العلاقة بين الغرب والعالم الاسلامى.

ومن ناحية أخرى فإن هذا المشروع البحثى التأسيلى إنما يمثل حلقة تستوجب استكمالها بحلقات أخرى من التأصيل النظرى أيضًا. ومن ثم فإن البرنامج يخطط لمشروع يأتى عن

(*) انظر قائمة أنشطة البرنامج وإصداراته (٢٠٠٢-٢٠٠٧) على موقعه www.hewaronline.net

التحليل الثقافي سيقوم على تنفيذه في خطته العلمية الخمسية الثانية (٢٠٠٧) وبعد أن اتخذ البرنامج مسمى آخر وهو برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات.

أخيراً، أقدم شكرى وتقديرى لنخبة الأساتذة الذين شاركوا في أعمال هذا المشروع على عظيم تعاونهم خلال مراحل إعداد المشروع، وعلى عظيم اهتمامهم به ودعمهم له. ويجدر توجيه الشكر أيضاً لمن يرجع لهم فضل آخر في إخراج هذا المشروع. وأبدأ بشكر أ.د. طه جابر العلوانى رئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية في فرجينيا على مساعدته المادية والمعنوية لتنفيذ هذا المشروع وفق بروتوكول تعاون بين الجامعة التي يرأسها وبين برنامج حوار الحضارات.

كذلك أشكر أ.مدحت ماهر باحث العلوم السياسية وطالب الدراسات العليا المتميز على قيامه بأعمال تحرير البحوث والمتابعة الفنية والعلمية مع الأساتذة الباحثين وحتى تقديم الصيغ النهائية لدراساتهم. كما أقدم شكرى للأستاذة علياء وجدى منسقة المشروعات في البرنامج التي تولت تنسيق المشروع فنياً وإدارياً ومالياً في مراحل المتعاقبة.

وفي النهاية شكر خاص للأستاذ عدنان سالم مدير دار الفكر العربي في دمشق الذى تحمس لنشر أعمال هذا المشروع الضخم على نحو لم يتحقق من دور نشر أخرى. حيث كان لا بد لمثل هذا المشروع أن تتعهد بالنشر دار ذات أفق فكرى رحب. ولقد استغرق الاتفاق على النشر قرابة الستة أشهر. وكانت محصله هذا الاتفاق هو نشر أعمال المشروع في سلسلة كتب منفصلة بحيث تتضمن معظم الكتب بحثاً محاور محددة، كما تتضمن بعض الكتب بحثاً واحداً أو أكثر من أحد المحاور... ولقد وافق برنامج حوار الحضارات على هذا النمط من النشر المتسلسل تسهيلاً على القارئ، إلا أن المقدمة الجامعة للمشروع والفهرس التفصيلي له في كل كتاب يحققان الربط بين أجزاء المشروع، حيث إنه يمثل بنية متكاملة، تقدم في حد ذاتها رؤية ومن بين عدة رؤى عن كيفية الاقتراب من تأصيل مجال الدراسات الحضارية انطلاقاً من العلوم السياسية وغيرها.

والحمد لله

د.نادية محمود مصطفى

مدير برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات

(حوار الحضارات سابقاً)

القاهرة نوفمبر ٢٠٠٧